البحرية الإسلامية
ودورها في محاولات فتح القسطنطينية
خلال العصر الأموي 41 -١٣٢ هـ / ٦٦١-

٧٥٠م

م.د. نور سعد محسن

The Islamic Marine and Its Role in the Conquest of Constantinople during the Omayyad Dynasty (41-132 H, 661-750 AD)

PhD. Assistant Noor Saad Muhsin

The history did not tell us about any marine forces during the era of the Prophet Muhammad (PUH) or Abi Bakar Al Sidiq, but during the era of Omar Bin Al Khatab the thinking about establishing a marine forces through the seas had been started, and the first deal with the Islamic army in the sea was to conquest the Bahrain and few lands of Egypt specially Alexandria, the Muslims knew the importance of the marines, and the Caliphs after that established an Islamic Naval Fleet, and the most important marine battle was the Battle of the Masts

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يتناول هذا البحث البحرية الإسلامية ودورها في محاولات فتح القسطنطينية خلال العصر الأموي(٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م).

يستمد الموضوع أهميته من أهمية الأُسطول الإسلامي، حيث كان أداةً رئيسيةً في نشر رسالة المسلمين وحضارتهم، فلقد لعب دوراً كبيراً وبارزاً في عمليات الفتح الإسلامي منذ إنشائه على يد معاوية بن أبي سفيان وتطوره لاحقاً على يد من أتى بعده، فقد أصبح البحر الأبيض المتوسط والذي كان يُعرف ببحر الروم بفضل هذا الأُسطول بحيرةً إسلامية، وقد خاضت الأساطيل الإسلامية معارك بحرية كبيرة وناجحة عبر التأريخ خاصةً في حوض البحر المتوسط الشرقي وشمال أفريقيا وجنوب أوربا واحتلت جزء صقلية وكريت ورودس وقبرص وعبرت إلى الأندلس وحاصرت القسطنطينية واستخدم المسلمون أسلحةًبحريةً فعالةً ومتنوعةًوسفناً حربيةً كبيرة، وبرع قادةُ المسلمين في فنون الحرب البحرية وانتصروا وسيطروا على البحر الأبيض المتوسط واجزاء من البحر الأحمروالمحيط الهندي، فيمكن القول أن الأساطيل الإسلامية كان لها دور كبير في اتساع الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً، أيضاً يستمد الموضوع أهميته من ما كان يشكله الروم على الدولة الإسلامية الفتية فكانت هذه الحملات على عاصمتهم تؤدي إلى رفع الروح المعنوية في جانب المسلمين وتشكل مصدر خطرٍ وتهديد على الروم من خلال محاصرة حاضرة ملكهم وعاصمتهم القسطنطينية.

تناولت الموضوع في مبحثين تضمن الأول الحديث عن بدايات المسلمين بالبحر وكيفية نشوء البحرية الإسلامية وأبرز المعارك البحرية قبل قيام الدولة الأموية، أما المبحث الثاني فقد تركز على المحاولات الثلاث لفتح القسطنطينية خلال العصر الأموي وأهم نتائجها.

أما المصادر التي اعتمد عليها البحث فكان أبرزها كتب الفتوح وكتب التاريخ العام، أما كتب الفتوح فكان أبرزها كتاب فتوح البلدان للبلاذري، أما كتب التاريخ العام كان أهمها تاريخ الرسل والملوك للطبري وكتاب البداية والنهاية لابن كثير، إضافةً إلى مجموعة من المراجع الحديثة أبرزها كتاب تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام لأحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالموكتاب فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي لوفيق بركات وغيرها من المصادر والمراجع التي أغنت صفحات البحث.

تمهيد

كان للعرب علاقةٌ قديمةٌ مع البحر وخاصةً عرب اليمن وحضرموت وعُمان والبحرين، وقد برعوا في ركوب البحر بحكم موقع بلادهم على البحر الأحمر من الجهة الغربية والمحيط الهندي جنوباً، وبحكم اشتغالهم بالتجارة في البر والبحر في مراحل التاريخ القديم التي سبقت مجيء الإسلام، واحتكاكهم بشعوبٍ كانت تعرف فنون البحر وخبرته، إلا أن اتصال العرب بالبحر قد توقف قبيل ظهور الإسلام واقتصروا في تجارتهم على الطرق البرية، وقد كان هنالك اسباب عديدة لهذا التوقف، كان أولها تعرض بلادهم للسيطرة الحبشية والفارسية(١). كذلك من هذه الأسباب صعوبة الملاحة في البحر الأحمر لكثرة ما يعترض السفن فيه من صخور وشعاب مرجانية(٢). وكانت طبيعة بلادهم البرية التي يندر وجود الأشجار التي تصلح أخشابها لصناعة السفن وخلوها كذلك من معدن الحديد اللازم لصناعة المراسي والمسامير والكلاليب باستثناء اليمن وخلوها من الزفت والقطران(٣) ويعلل ابن خلدون سبب تخلف العرب في ثقافة

---

(١)وفيق الدقدوقي، الجندية في عهد الدولة الأموية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ /١٩٨٥م) ص٢٤٧.

(٢)احمد مختار العبادي وعبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام (بيروت: دار الأحد،١٩٧٢) ص١٥.

(٣) المصدر ذاته، ص١٤.

البحر وركوبه ببداوتهم بينما يفسر تفوق البيزنطيين البحري لممارستهم احواله وتمرنهم عليه واحكامهم الدراية بثقافته[١].

المبحث الأول: نشوء البحرية الإسلامية

أولاً: بداية علاقة المسلمين بالبحر

لما ظهر الإسلام عرف المسلمون ركوب البحر في زمن الرسول ﷺ أيام هجرتهم من الحجاز إلى الحبشة فارين بدينهم من ظلم قريش، أما الغزو في البحر فلم يحدث في زمن الرسول ﷺ ولا في زمن خليفتيه كل من أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، ولما كان العرب بطبعهم يهابون البحر فقد نهى عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) قادته عن ركوبه لأنه كان يعده حصناً طبيعياً بينه وبين أعدائه[٢]. ولكن معاوية بن أبي سفيان ألح في غزو البحر معللاً ذلك بقرب بلاد الروم من مدن الشام ولاسيما حمص فقال ان قريةً من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم، وعلى إثر ذلك كتب الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) إلى عمرو بن العاص بأن صف لي البحر وراكبه فإن نفسي تنازعني إليه. فكتب إليه عمرو بن العاص وصفاً لما طلب و يورد الطبري هذا الوصف في كتابه فيقول" إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلقٌ صغير، إن ركن خرق القلوب وإن تحرك أزاغ القلوب، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم فيه كدود على عود، إن مالَ غرق وإن نجا بَرق" فلما قرأه عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) كتب إلى معاوية: لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبدا[٣].

---

(١)عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)،المقدمة(بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٠) ص٤٢٨.

(٢)الدقدوقي، الجندية، ص٢٤٨.

(٣)ابي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٤(القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧) ج٤، ص٢٥٨.

ولم يخالف نهي عمر في مسألة ركوب البحر إلا رجلين لقيا منه العقاب على ذلك، أحدهما العلاء بن الحضرمي الذي كان يحارب المرتدين في البحرين ثم بقي فيها مجاهداً، وفي فتح فارس ندب أهل ولايته البحرين وعبر بهم خليج العرب لقتال الفرس فما كان منهم إلا أن أحاطوا به وحاصروه فلما علم الخليفة بالحصار أسرع لنجدة المسلمين فأرسل إليهم والي العراق فأنقذهم وعلى اثر ذلك عزل العلاء بن الحضرمي وعمل تحت قيادة سعد بن أبي وقاص، وكان سبب ما فعله علاء بن الحضرمي هو المنافسة بينه وبين سعد بن أبي وقاص(١).

أما الرجل الثاني الذي خالف أوامر الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) هو القائد عرفجة بن هرثمة سيد قبيلة بَجيلة فقد أغزاه الخليفة بلاد عُمان فبلغه أنه ركب البحر فأنكر عليه ذلك وعنفه(٢).

انتهج عمر بن الخطاب(ﷺ) سياسةً بحريةً دفاعيةوهي ما يسمى في الوقت الحاضر بالدفاع الساحلي، لمواجهة القوى البحرية البيزنطية التي كانت تغير على ثغور المسلمين وتسيطر على معظم جزر البحر الأبيض المتوسط حتى سُمي بحر الروم، فاهتم الخليفة بتحصين السواحل وترميمها وترتيب المقاتلة فيها وإقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها، فأقام الرُبط والمسالح على طول الساحل لمراقبة النواحي التي يقبل منها البيزنطيون في البحر ومضت مرحلة الدفاع البحري بالوسائل البرية و فشلت بيزنطة في استرداد الساحل الشامي سنة ٢٣هـ/٦٤٣م والساحل المصري سنة ٢٥هـ/٦٤٥م أمام قوة الدفاع البري الإسلامي(٣).

يمكن القول ان سبب السياسة البحرية الدفاعية التي انتهجها الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) كان حرصه على المسلمين من مجازفةٍ غير محسوبةٍ يمكن أن تؤدي

---

(١)الطبري، تاريخ الرسل،ج٤،صص٧٩-٨٣.

(٢)الدقدوقي، الجندية، ص٢٤٩.

(٣)الدقدوقي، الجندية، ص٢٤٩.

إلى عواقب وخيمة فهو كان يرى قصر استعداد المسلمين من ناحية الدفاع الساحلي مقابل تفوق وتمكن في هذا الجانب لعدوهم.

ثانياً: دور معاوية بن أبي سفيان في انشاء أول أُسطول اسلامي

يرجع الفضل الأكبر في إنشاء الأُسطول الإسلامي إلى معاوية بن أبي سفيان، عامل الشام في خلافة كلٍ من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان(ﷺ)، اذ فطن إلى أهمية الأساطيل في الدفاع عن السواحل أثناء قيام أخيه يزيد بغزو مدن الساحل فقد تعرض لكثير من الصعوبات في فتح بعض المدن مثل قيسارية وطرابلس وعسقلان ولما توفي يزيد بن أبي سفيان في طاعون عمواس وآلت ولاية الشام إلى معاوية، رأى معاوية الحالة السيئة التي وصلت إليها تحصينات المدن الساحلية فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) يصف له حال السواحل ويقترح عليه إنشاء اسطول بحري للغزو[1]. إلا أن الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) رد عليه يأمره بتحصين المدن الساحلية وترتيب المقاتلة واتخاذ المواقيد وإقامة الحرس على المناظر ولم يأذن له بالغزو في البحر[2]. وامتثل معاوية لأمر الخليفة فحصن الثغور الإسلامية وشحنها بالمقاتلة الذين يرابطون بها طوال فصل الصيف ويتولون حراستها في المناظر والأبراج وأقطع من ينزل السواحل من المسلمين القطائع، وعلى ذلك أصبحت سواحل الشام سلسلةً متصلةً من التحصينات، وعندما تولى عثمان بن عفان الخلافة سنة ٢٤هـ/٦٤٤م كتب إليه معاوية يستأذنه في غزو قبرص ويخبره عن قربها فرد عليه ينهاه عن ذلك ويأمره بتحصين السواحل وشحنها بالمقاتلة وإقطاع من ينزلها القطائع ففعل[3].

في بداية خلافة عثمان بن عفان(ﷺ) تغلب البيزنطيون على بعض سواحل الشام فقصد لهم معاوية حتى افتتحها ثم رممها وشحنها بالمقاتلة ومنحهم القطائع، وفي

---

(١)العبادي، البحرية الإسلامية، صص١٥-١٦.

(٢)ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع(بيروت: مؤسسة المعارف، بلا- ت) ص١٧٥.

(٣)العبادي، البحرية الإسلامية، صص١٦-١٨.

الوقت ذاته سَيَّرَ قسطانز الثاني امبراطور الدولة البيزنطية حملةً بحريةً لمهاجمة الإسكندرية نجحت في البداية إلا أن عمرو بن العاص استطاع تحقيق النصر وإيقاع الهزيمة بالبيزنطيين(١).

أبحرت حملةٌ إلى جزيرة قبرص في سنة ٢٨هـ/٦٤٨م وكانت هذه أول غزو للمسلمين في البحر، وما كادت السفن الإسلامية ترسو على ساحل الجزيرة حتى أذعن أهلها بالطاعة للمسلمين وطلبوا الصلح وصالحهم معاوية على جزيةٍ سنويةٍ يؤديها له أهلها واشترط عليهم أن يلتزموا موقفاً حيادياً في الصراع الإسلامي- البيزنطي وأن يبلغوا المسلمين بسير عدوهم من البيزنطيين(٢).

وغزا معاوية بن ابي سفيان مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة(٣). واشترك بوقعة ذات الصواري في مياه الإسكندرية ورتب الشواتي والصوائف في البحر، فغزا عبد الله بن قيس خمسين غزوة في البحر بين شاتيةٍ وصائفة، وغزا بسر بن أرطأة سنة ٤٤هـ/٦٦٤م ومالك بن هبيرة السكوني سنة ٤٨هـ/٦٦٨م وغزا يزيد الرهاوي بأهل الشام وعقبة بن نافع بأهل مصر سنة٤٩هـ/٦٦٩م، وغزا الأسطول الإسلامي جزيرة رودس سنة ٥٣هـ/٦٧٢م وجزيرة أرواد سنة ٥٤هـ/٦٧٣م وأقام الأُسطول هناك سبع سنين حتى توفي معاوية بن ابي سفيان(٤).

وكان معاوية هو صاحب الفضل في دفع المسلمين نحو التوسع البحري، فكما جاهد في سبيل بناء أُسطولٍ إسلامي في البحر الأبيض المتوسط فإنه عمد إلى دفع المسلمين إلى الاستيلاء على القسطنطينية عاصمة الروم فما أن استتب الأمر له

---

(١)المصدر ذاته، ص١٩.

(٢)البلاذري، فتوح البلدان، صص٢٠٨-٢١٠؛ انور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) صص٩١-٩٢.

(٣)الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٣٠٤.

(٤)محمد ياسين الحموي، تاريخ الأسطول العربي(دمشق: د. مط، ١٩٤٥) ص١٢٠

وأصبح خليفةً حتى أخذ يعد الأُسطول الإسلامي لمساعدة قواته البرية في الاستيلاء على القسطنطينية[١].

مما تقدم يمكن القول ان معاوية بن ابي سفيان كان يسير في بناء القوة البحرية على وفق خطةٍ معدة مسبقاً ومرسومة نراها تثمر لاحقاً في بناء قوةبحرية اسلامية متميزة اسهمت في كثير من الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي والعصور التي تلته.

ثالثاً: عوامل نشوء البحرية الإسلامية

١) ازدياد الخطر البيزنطي:

لقد أظهرت فتوح الشام ومصر تحولاً كبيراً في الستراتيجية الدفاعية للمسلمين، اذ شعروا بعد فتح مدن ساحلية تمتد من انطاكية شمالاً حتى برقة غرباً بأهمية وجود قوات بحرية تتمكن من الدفاع عن هذه المدن، وقد عمد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) بسبب ادراكه لعظم القوة البحرية البيزنطية وسطوتها إلى اتباع سياسة الدفاع الساحلي لمواجهة خطر استرداد الروم البيزنطيين لسواحل الشام ومصر، متوسلاً بذلك بوسائل برية أوضحناها سابقاً[٢].

ظل المسلمون يتبعون هذه السياسة الدفاعية إلى أن تهيأ لهم تثبيت اقدامهم وتمكين سيادتهم على أراضي الشام ومصروبدأوا بتأسيس قوة بحرية اسلامية ليتسنى لهم من خلالها إحكام السيطرة على سواحل الشام ومصر والحفاظ على المدن الساحلية المحررة.[٣]

٢) توافر الخبرة الفنية:

---

(١)احمد ابراهيم العدوي، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط(القاهرة: مكتبة نهضة مصر، بلا- ت) صص٤٤-٤٥؛ علي محمد محمد الصلابي، معاوية بن ابي سفيان شخصيته وعصره(القاهرة: دار الأندلس الجديدة، ٢٠٠٨) ص٣٨٩.

(٢)الدقدوقي، الجندية، ص٢٤٩.

(٣)العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، صص١٤-١٥.

رأى الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان(ﷺ) وبعد إلحاح من واليه على الشام معاوية بن ابي سفيان انه لا بد من إنشاء أُسطولٍ لرد هجمات الروم في البحر الابيض المتوسط، وكانت احواض الروم في الإسكندرية وعكا قد وقعت سالمةً بيد العرب الفاتحين، فأنشأ عثمان فيها أول أُسطولٍ إسلامي، وقد وكل بناء هذا الأُسطول إلى العناصر الخبيرة في صناعة المراكب البحرية في البلاد المفتوحة في كلٍ من مصر والشام ولاسيما إلى القبط.[١]

ان القبط اسهموا بنصيب كبير في بناء الأسطول الإسلامي في دور صناعتهم التي عرفت فيما بعد بجزيرة الروضة.[٢]فلم تأت سنة ٣٣هـ/٦٥٣محتى كان للمسلمين اسطول يتكون من اكثر من ألف وسبعمائة سفينة.[٣]

وبرع أهل الشام ولاسيما سكان السواحل في صناعة السفن وتمرسوا في ركوب البحر، وقد اعتمد معاوية كذلك على عناصر عربية يمنية تنتمي إلى قضاعة كانت قد استقرت في مشارف الشام.[٤]

٣) وجود المواد الأولية لصناعة السفن

عندما قرر معاوية بن ابي سفيان إنشاء أسطولٍ إسلامي وهو لم يزل والياً على الشام كان يعلم بإمكانية تحقيق ذلك، فالأخشاب اللازمة لصناعة ألواح السفن والصواري والمجاذيف تتوافر في مناطق متعددة من أراضي الشام ومصر، فأشجار الصنوبر والأرز والبلوط كانت تزخر بها جبال لبنان وسورية و أنواع الخشب التي كانت تصلح لصناعة المجاذيف اشتهرت بها مصر منذ اقدم العصور.[٥]و كانت

---

(١)الدقدوقي، الجندية، ص٢٥١.

(٢)تقي الدين احمد بن علي المقريزي(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار(القاهرة: دار التحرير للطباعة والنشر، ١٢٧٠هـ) ج٣، ص٢٨٩.

(٣)لويس ارشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: احمد محمد عيسى(القاهرة: د.مط، ١٩٦٠) ص١١٦.

(٤)العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٢٥.

(٥)العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٢٤.

أشجار السنطالتي تدخل في صناعة السفن منتشرة في عدة مناطقمن مصر.[١] و كان بالإمكان استغلال معدن الحديد المتوافر في مصر والشام واليمن لعمل المسامير والمراسي والفؤوس وغير ذلك المواد اللازمة لصناعة السفن والتي كانت تتوافر بكثرة في المناطق التي فتحها المسلمون.[٢]

وكانت دار صناعة السفن في مصر والمعروفة باسم جزيرة الروضة أقدم دار صناعة في الدولة الإسلامية وصار نظامها نموذجاً يحتذى به لمن بني بعدها من دور صناعة السفن، وهذه الدار قديمة يعود وجودها إلى الفترة التي سبقت الفتح الإسلامي وكانت ناشطة في بناء سفن الروم، فحافظ المسلمون على تلك الدار وحصل منها معاوية بن ابي سفيان على السفن الأولى التي كونت نواة الأُسطول الإسلامي واستخدمها في فتح جزيرة قبرص.[٣]

٤) سعي المسلمين إلى الاستيلاء على القسطنطينية:

كان المسلمون يهدفون إلى القضاء على الإمبراطورية البيزنطية على نحو ما حدث للدولة الساسانية، فلم يطمئن المسلمون إلى جانب الروم بعد فتوح الشام ومصر، لذلك كان لزاماً عليهم أن يفتحوا القسطنطينية قلعة الروم وحاضرتهم المنيعة والرأس المدبر لتنظيمهم البحري في حوض البحر المتوسط الشرقي.[٤]

أرسل الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان(ﷺ) إلى المسلمين في المغرب أن القسطنطينية تفتح من جهة الأندلس[٥] وقد تكررت المحاولات لذلك إلا أن الهزيمة

---

(١)المقريزي، المواعظ والإعتبار، ج٣، ص١١٠.

(٢)العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، صص٢٤-٢٥.

(٣)الدقدوقي، الجندية، ص٢٥٢.

(٤)العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٢١.

(٥)المصدر ذاته.

التي مُنيَ بها المسلمون في موقعة بلاط الشهداء سنة١١٤هـ/٧٣٢م وضعت حداً لتلك المحاولات.[١]

كان هدف السيطرة على القسطنطينية حافزاً للدولة الإسلامية منذ البداية لإنشاء أُسطول بحري حربي هدفه أولاً السيطرة على جزر حوض البحر المتوسط الشرقي لاتخاذها نقطة ارتكاز أمامية وقواعد حربية ومراسي لأساطيلهم تجاه السواحل البيزنطية حتى يتهيألهم من خلال هذه القواعد الانقضاض على عاصمة الروم القسطنطينية.[٢] وهكذا غزا معاوية قبرص سنتي ٢٨هـ/٦٤٨م و ٣٣هـ/٦٥٣م، وفتح جنادة بن أُمية الأزدي رودس للمسلمين سنة ٥٢هـ/٦٧٢م وغزا جنادة كذلك جزيرتيّ أرواد وكريت ليتسنى بعد ذلك للمسلمين مهاجمة القسطنطينية.[٣]

رابعاً: موقعة ذات الصواري[٤]

تعد هذه الموقعة حداً فاصلاً في تاريخ البحر الابيض المتوسط ذلك أن امبراطور الروم آنذاك قسطانز كان يرمي إلى تحطيم قوة المسلمين البحرية في مهدها ولو أنه وُفق في ذلك لظلت سيادة البحر المتوسط بيد البيزنطيين دون المسلمين.[٥]

سميت الموقعة ذات الصواري نسبةً إلى كثرة صواري السفن،[٦] أو كما يستنتج من كلام الطبري في اكثر من نص من أنه اسمٌ لموضع حيث يقول "فركب في مركب

---

(١)السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس(بيروت: دار النهضة العربية، بلا-ت) صص١٤٢-١٤٦.

(٢)العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٢٢.

(٣)وفيق بركات، فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي(حلب: معهد التراث العلمي العربي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ص١٨.

(٤)اختلف المؤرخون في تحديد سنة المعركة فبعضهم يذكر انها سنة ٣١هـ مثل الطبري حيث يورد احداثها سنة ٣١هـ في حين ذهب آخرون انها حدثت سنة ٣٤هـ.

(٥)العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٣١.

(٦)العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٢٩.

وحده وما معه إلا القبط حتى بلغوا ذات الصواري"(١) وقوله ايضاً "وأقام عبد الله بذات الصواري أياماً بعد هزيمة القوم".(٢)

أما بالنسبة لأحداث المعركة فيذكر الطبري ان أهل الشام خرجوا وعليهم معاوية بن ابي سفيان وعلى أهل البحر عبد الله بن سعد بن ابي السرح ويقول: خرج عامئذقسنطين بن هرقل في جمعٍ لم يجتمع للروم مثله قط منذ كان الإسلام، وحين التقى الجمعان في البحر كانت الرياح غير ملائمة فقضى العرب والروم ليلتهما انتظاراً لما يسفر عنه الصباح، وفي اليوم التالي دارت المعركة واشترك فيها الإمبراطور نفسه.(٣)

وجد العرب أن ذخيرتهم من الأقواس والرماح والحجارة بدأت تنفذ وأن العدو مازال بعيداً وأنه يراوغ ويماطل لإنهاك قواهم، فابتكروا أُسلوبا جديدا، فعمدوا إلى ربط سفنهم بعضها ببعض وقذفوا خطاطيف في البحر جذبوا بها سفن الروم إليهم وحين وصلت أخبار هذه الخطة إلى امبراطور الروم أدرك فشل قواته وأن الهزيمة هي مصير تلك القوات.(٤)

ونرى ان الطبري يورد نصاً عن سير هذه المعركة فيقول" رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما"(٥) ويذكر ابن الأثير

---

(١)الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، صص٢٩١-٢٩٢.

(٢)المصدر ذاته، صص٢٩٠-٢٩١.

(٣)المصدر ذاته، صص٢٩٠ .

(٤)ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم(ت٢٥٧هـ/٨٧٠م)، فتوح مصر واخبارها، تحقيق: محمد صبيح(د.م: د.مط، بلا- ت) صص١٢٩-١٣٠.

(٥)الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، صص٢٩٠-٢٩١.

نهاية هذه المعركة بقوله" وقتل عدد وفير من الطرفين المتحاربين إلى أن انهزم ابن هرقل جريحاً ولم ينجو من الروم إلا الشريد".(١)

وبالنظر لمجريات هذه المعركة بين الأسطول الإسلامي وأُسطول الروم يمكن القول انها أدت إلى تدعيم سيادة المسلمين على السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط وأنهت فكرة الروم في استعادة البلاد التابعة لهم والتي وقعت بيد المسلمين، وقد دلت هذه المعركة على أن الأُسطول الإسلامي أصبح قوة كبيرة لا يستهان بها قادرة على التهديد بعد أن كانت السياسة البحرية الإسلامية سياسة دفاعية، ونرى أن المسلمين استخدموا في هذه المعركة البحرية اسلحة البر وهي القوس والسيوف والخناجر والحجارة وغيرها كما أنهم ابتكروا اسلوباً جديداً أثناء سير المعركة وهو ربط السفن ببعض وجذب سفن العدو إليها مما سبب انقلاباً في مجريات المعركة وحسمها لصالحهم.

المبحث الثاني: دور البحرية الإسلامية في محاولات فتح القسطنطينية

شكلت معركة ذات الصواري حافزاً قوياً للقادة المسلمين وجعلتهم يدركون حتمية انتزاع البحر الأبيض المتوسط من قبضة الروم بعد أن اصبحوا قوة بحرية كبيرة، ومثلما كان لمعاوية الفضل في الدفع باتجاه بناء قوة بحرية اسلامية، كذلك كان له الفضل في دفع المسلمين إلى فتح حاضرة الروم المنيعة القسطنطينية بمساعدة هذه القوة البحرية الصاعدة وما كاد يصبح خليفةً حتى شرع في تنفيذ هذه الخطة.

أولاً: الحصار الأول سنة٤٩هـ/٦٦٩م

(١)عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الأثير(ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ(بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٨) ج٣، ص١١٨.

جهد معاوية في وضع خطة تهدف إلى ضرب القسطنطينية والاستيلاء عليها، إذا تهيأت الظروف، وترك لخلفائه من بعده طريقاً واضح المعالم للسير فيه من اجل رفع راية الإسلام على مياه البحر الابيض المتوسط.[١]

بدأ معاوية سياسته البحرية التوسعية بتقوية الثغور البحرية في الشام ومصر وشحنها بالجند المدربين على ركوب البحر، ثم بث النشاط في دور الصناعة لإنتاج السفن الحربية وغيرها من مراكب نقل المؤن، وفي الوقت نفسه أعد معاوية قواته البرية التي خصصت للتعاون مع القوات البحرية في الهجوم على القسطنطينية.[٢]

وتعد حملات المسلمين على القسطنطينية الأساس في بناء سياسة بحرية جديدة وتطوراً مهماً في الاستراتيجية البحرية الهجومية للدولة الإسلامية، تقوم على التعاون والتنسيق بين القوات البرية والبحرية في الهجوم، ويرجع سبب ذلك إلى إغارات سكان جبل اللكام القريبين من حدود آسيا الصغرى على أراضي الشام وهم الذين أطلق عليهم المسلمون اسم المردة.[٣]

وفي سنة ٤٩هـ/٦٦٩م سَير معاوية جيشاً كبيراً على رأسه سفيان بن عوف إلى بلاد الروم وفي العام الثاني أرسل لهذا الجيش مدداً بقيادة ابنه يزيد بعد أن أصاب قوات سفيان بن عوف الجوع والمرض، وكان في جيش يزيد عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وابو أيوب الأنصاري ﷺ فأوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية فاقتتل الجانبان في بعض الأيام واشتدت الحرب بينهم،[٤] وقد توفي هناك ابو ايوب الأنصاري (ﷺ) ودفن في أصل سور القسطنطينية وحين دفن قالت

---

(١)بركات، فن الحرب البحرية، ص٥٣.

(٢)العدوي، الأساطيل العربية، ص٤٥.

(٣)العدوي، الأساطيل العربية، صص٤٥-٤٦.

(٤)ابن الأثير، الكامل، ج٣، صص٤٥٨-٤٥٩؛ علا عبد العزيز ابو زيد، الدولة الأموية دولة الفتوحات ٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ /١٩٩٦م) ص٢٣.

الروم لقد مات منكم عظيم فقال يزيد قولوا هذا رجل من أصحاب محمد(ﷺ) ومن أقدمهم اسلاما.[١]

ثم ما لبث الجيش أن رجع إلى الشام وانهى الحصار بعد أن تبين للمسلمين أن خير سبيل للاستيلاء على القسطنطينية هو اعداد اسطولٍ قوي يقف على قدم المساواة مع القوات البرية.[٢]

كانت للحملة الإسلامية الأولى التي شنها الأسطول الإسلامي على مدينة القسطنطينية أثر كبير على سياسة أباطرة الروم فقد جعلتهم هذه الحملة يدركون أن لا شيء يمنع المسلمين من الوصول إلى عقر دارهم وأنهم على استعداد لاستئناف هذه الحملات وبشكل أقوى وأكثر تنظيما.

اتجهت سياسة الروم إزاء هذا النشاط الحربي الإسلامي إلى اتخاذ كافة الوسائل الممكنة التي تجعل عاصمتهم بعيدة المنال عن القوات الإسلامية، وبدأوا تنفيذ سياستهم في اقليم آسيا الصغرى الذي غدا بعد ضياع الشام ومصر أهم مورد يستمد منه الروم الجند القادرين على القتال، والأموال اللازمة للنهوض بمرافق البلاد للدفاع عن العاصمة فوضعوا لهذا الإقليم نظاماً حربياً جديداً بدأ الاهتمام به منذ عهد هرقل ذلك الإمبراطورالذي نالت جيوشه هزائم ساحقةً متتالية على ايدي المسلمين، فقد دفعت هذه الهزائم هرقل إلى انقاذ البقية الباقية من امبراطوريته في آسيا الصغرى باتباع نظام اداري يحقق لها الصمود أمام زحف المسلمين وسد الطرق الرئيسة المؤدية إلى القسطنطينية.[٣]

اقتضى الدفاع عن الأراضي البيزنطية وضع آسيا الصغرى في حالة دفاع دائم، لا سيما بعد أن أخذت جيوش المسلمين تطرق منافذها ومسالكها متجهة لحصار

---

(١)احمد بن عبد الله القلقشندي، مأثر الأنافة في معالم الخلافة، ط٢(الكويت: د. مط، ١٩٨٥) صص١١٢-١١٣.

(٢)العدوي، الأساطيل العربية، ص٤٧.

(٣)ابراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون (القاهرة: د. مط، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م) ص١٦٢-١٦٣.

القسطنطينيةفاتجه أباطرة الروم إلى تطبيق سياسة جديدة تلخصت بتوزيع فيالق من الجيش على جهات آسيا الصغرى تعسكر فيها بصفةٍ دائمة ثم منح الأباطرة الجند المقيمين فيها قطعاً من الأرض يستغلونها لتشجيعهم في الدفاع عنها؛ وعرف هذا التنظيم الإداري الجديد بنظام الأجناد أو نظام البنود فكان لكل فيلق بند خاص أو عَلَمٌ يميزه، وكان الركن من الشاطئ الأوربي المواجه لآسيا الصغرى والذي تقع عليه القسطنطينية ينتظم بنداً قائماً بذاته وان كان يعتمد في الدفاع عن نفسه على بنود آسيا الصغرى، وقد عرف المسلمون أن آسيا الصغرىتمثل العمود الفقري في قضية الدفاع عن القسطنطينية وقد أدركوا أن قطع الأمداد والمؤن عن القسطنطينية هو الهدف الذي يجب أن يصلوا إليه ليتمكنوا من النجاح في حملاتهم ضد القسطنطينية مستقبلاً.[١]

ثانياً: الحصار الثاني أو حرب السنوات السبع(٥٤-٦٠هـ/٦٧٣-٦٧٩م)

ظل المسلمون يهاجمون الأراضي البيزنطية صيفاً وشتاءً في البر والبحر حتى استولى الأسطول على إزمير واحتل ليكيا واستولى على جزيرة رودس وغيرها من الجزر، وفي سنة ٥٤هـ/٦٧٣م بدأ الحصار الفعلي للقسطنطينية واستدعى الأمر تعزيز القوة البحرية فانضم إلى الأسطول المرابط في مياه القسطنطينية اسطول إسلامي بقيادة جنادة بن أبي أُمية واستولى على جزيرة أرواد القريبة من القسطنطينية واتخذها المسلمون قاعدةً بحريةً أمامية لإمداد الجيش المحاصر للعاصمة البيزنطية بالسلاح والرجال ولقطع الطريق على سفن الروم، وأحكم المسلمون الحصار البري والبحري طوال العام اشتبكت خلاله سفن الروم مع سفن الأسطول الإسلامي.[٢]

جرت أحداث هذا الحصار الثاني لعاصمة الروم على وفق خطة كان للأسطول البحري فيها الدور الرئيسي، إذ نقلت سفن الأسطول الإسلامي الجند إلى البر لمحاصرة أسوار القسطنطينية الخارجية، في حين أكمل الأسطول حلقة الحصار، واستمر الحصار البري البحري للقسطنطينية أشهراً تخللته كما أوضحنا سابقا

(١)العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص١٦٩-١٧٢.

(٢)العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٣٢.

المناوشات بين الأسطولين، وظلت المعارك بين الفريقين سجالاً دون أن يستطيع أحدهما التغلب على الآخر.[١]

وبحلول الشتاء اضطر المسلمون إلى فك الحصار عن القسطنطينية وأقام المسلمون في جزيرة أرواد انتظاراً لحلول الربيع لكي يستأنفوا عملياتهم الحربية.[٢]

في مطلع الربيع عادت سفن الأسطول الإسلامي تحمل الجند إلى أسوار القسطنطينية، في حين تابع الأسطول حصار المدينة بحراً كما حدث في العام الذي سبقه وقد أنزل الأسطول الإسلامي بالجند المدافعين عن القسطنطينية خسائر فادحة ولكنه فشل في اقتحام الأسوار البحرية، وبحلول الشتاء مرةً أخرى اضطر الأسطول لنقل الجند ثانيةً إلى جزيرة أرواد.[٣]

وقد تكررت تلك الخطة الحربية لحصار القسطنطينية سبع سنوات، يبدأ الأسطول الإسلامي بنقل الجند إلى أسوار المدينة بمطلع الربيع ثم يكمل هو حلقة الحصار من البحر، ثم يعود فينقل الجند شتاءً إلى جزيرة أرواد انتظاراً لمقدم الربيع التالي وهكذا، وقد استخدم الروم في هذا الحصار النار البحرية لأول مرة وهي سلاح خطير أتعب سفن الأسطول الإسلامي، فقد كانت هذه النار تشتعل على الماء وعلى ظهور السفن على حد سواء، دون أن يعرف العرب وسيلة لإطفائها.[٤]

بعد سبع سنين من تلك الحروب المضنية أحس معاوية بن أبي سفيان بدنو أجله، وأنه لابد من سحب سفن الأسطول الإسلامي والقوات البرية المحاصرة للقسطنطينية كي لا تتعرض تلك الحملة إلى الاخطار إذا ما توفي، وقد دخل معاوية في مفاوضات مع الروم لسحب أسطوله وقواته.[٥] وكانت الدولة البيزنطية تتلهف لإنهاء حالة الحرب مع الدولة الإسلامية إذ أرسلت إلى دمشق رجلاً يدعى يوحنا، من

---

(١)العدوي، الأساطيل العربية، ص٥٣.

(٢)العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٣٣.

(٣)العدوي، الأساطيل العربية، ص٥٣.

(٤)العدوي، الأساطيل العربية، ص٥٤.

(٥)العدوي، الأساطيل العربية، ص٥٤.

أشهر رجالها الدبلوماسيين وأكثرهم ذكاءً وفطنة، ونجحت مفاوضاتهفي عقد صلح بين الطرفين مدته ثلاثون عاماً، وبعد إبرام هذه المعاهدة بدأت القوات الإسلامية البرية والبحرية بالعودة.(١)

أثبتت هذه الحملة بما لا يقبل الشك القوة والتنظيم اللذان وصل إليهما الأسطول الإسلامي وقدرته على تهديد عاصمة الروم المنيعة وفق خطط محكمة أهلته لمواصلة التهديد والحصار لسبع سنين. وأثبت أن الدولة الإسلامية أصبحت قوة كبيرة في المنطقة أجبرت إمبراطورية الروم على المفاوضات معها على قدم المساواة ووقعت معاهدة امتدت لفترةٍ طويلة.

وفي هذا الحصار يمكن القول إن المسلمين كانوا أكثر خبرة وتمرسا وتنظيما في مجال الحرب البحرية إلا أن استخدام النار البحرية من قبل الروم والأحوال الجوية الرديئة حالت دون تحقيق ما أرادوا من احتلال القسطنطينية.

إلا أنهم أثبتوا ثانيةً أن عاصمة الروم المنيعة ليست بعيدة عن مرمى القوات الإسلامية.

ثالثاً: الحصار الثالث (٩٨-٩٩هـ/٧١٧-٧١٨م)

لم تتغير سياسة البيت الأموي تجاه القسطنطينية رغم انتقال الخلافة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني.(٢) فمثلما كرَّس معاوية بن ابي سفيان جهوده لحشد قوى الدولة الإسلامية لضرب القسطنطينية، فإن الخليفة عبد الملك بن مروان مهد الطريق لأبنائه من بعده لحمل لواء الجهاد ضد عاصمة البيزنطيين، ذلك أنه سلم لأبنائه دولةً

---

(١)العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص١٧٥.

(٢) كان معاوية بعيد النظر حين عجل بسحب الأسطول الإسلامي فما كادت سفنه ترسو في قواعد الشام حتى توفي تاركاً الخلافة لابنه يزيد وسط معارضة شديدة من كبار رجال المسلمين وقد ترتب على تلك المعارضة حدوث انقسامات خطيرة وقيام حروب أهلية صاحبها نزاع داخل البيت الأموي انتهى سنة ٦٤هـ/ ٦٨٥م بتولي مروان بن الحكم الخلافة وبذلك انتقلت الخلافة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني. أنظر: العدوي، الأساطيل العربية، ص٥٦.

مستقرة الأركان يسودها الهدوء والنظام وأحيى في نفوس أهلها حب الجهاد ضد البيزنطيين والتطلع مرةً أخرى لإذلال عاصمتهم(١)؛ ومن أبرز أعماله في هذا المجال هو نجاحه في إقصاء المردةالذين دأب الروم على استغلالهم في شل التعاون بين القوات البرية الإسلامية وسفن الأسطول الإسلامي عن أماكنهم نهائياً بجبل اللكام، ويرجع السبب في نجاحه إلى دهائه وقصر نظر معاصره امبراطور الروم جستنيان الثاني، إذ دخل هذا الإمبراطور في مفاوضات مع الخليفة عبد الملك بن مروان تستهدف نقل المردة من جبل اللكام إلى داخل أراضي الروم مقابل دفع ألف دينارٍ سنوياً ولم يجد عبد الملك بن مروان أي غضاضة في دفع هذا المبلغ فالمقابل سيكون إبعاد أكبر خطر يهدد قواعد الأسطول الإسلامي في الشام ونجحت تلك المفاوضات فنقل جستنيان المردة إلى رومانيا وذهب بعضهم إلى تراقيا وتبعثر الباقون في آسيا الصغرى.(٢)

تعتبر هذه الخطوة من لدن الخليفة عبد الملك بن مروان ذات أثر كبير في تدعيم الأسطول الإسلامي فهي فضلا عن انها أجبرت أباطرة الروم على الخضوع إلى شروط الدولة الإسلامية الفتية والاعتراف بها كندٍ لإمبراطورية الروم فإنها اسهمت في حماية وتأمين قواعد الأسطول الإسلامي من إغارات المردة وأنهت وجودهم وكونهم سلاح مستغل بشكلٍ دائم من قبل أباطرة الروم ضد سفن الأسطول الإسلامي وأنهت دورهم في تقطيع أوصال القوات الإسلامية البرية والبحرية.

بعد وفاة الخليفة عبد الملك بن مروان آلت الخلافة لابنه الوليد الذي تابع سياسة تقوية الأسطول الإسلامي وعمل على تنسيق التعاون بين القوات البرية والبحرية.(٣)وقد جعل هدف تحركاته الحربية الاستيلاء على المعاقل المهمةالواقعة في الطريق الرئيس

---

(١)العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص٢١٢.

(٢)العدوي، الأساطيل العربية، ص٥٧؛ ابراهيم أحمد العدوي، الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم، ط٢(القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨) ص٦٨.

(٣)العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص٢١٢.

المؤدي إلى القسطنطينية، واستهل تنفيذ خطته بحصار مدينة طوانة وهي مفتاح الطريق المهم بين الشام والبسفور والذي تسلكه الجيوش الإسلامية لمهاجمة القسطنطينية وحاصر المسلمون المدينة لعامين وقد كانت شديدة التحصين واستمات البيزنطيون في الدفاع عنها ولكن سرعان ما سلموا للمسلمين بعد أن أنهكهم الجوع وانتهى الحصار بدخول المسلمين إلى المدينة؛[١]تابع المسلمون إغاراتهم على مدن آسيا الصغرى وقد تكللت حملاتهم بالنجاح، وبعد نجاح الجيوش الإسلامية في السيطرة على معاقل آسيا الصغرى، قرر الخليفة الوليد إعداد حملة لمهاجمة القسطنطينية.[٢]

ما إن ترامت أخبار هذه الحملة إلى السلطات البيزنطية، حتى بدأت الاهتمام بتدعيم وسائل الدفاع عن أسوار القسطنطينية، وعنيت بتقوية الدفاع البحري تمهيداً لحصار قد يطول أمده كما حدث في الحصار السابق، إلا أن وفاة الخليفة الوليد أدت إلى إرجاء إنفاذ الحملة إلى القسطنطينية، وحين اعتلى سليمان بن عبد الملك عرش الخلافة أخذ بتجهيز الجيوش للسير إلى القسطنطينية ومهد لذلك بغزوة بحرية بقيادة عمر بن هبيرة الفزاري على بلاد الروم سنة ٩٧هـ/٧١٥م. وفي العام التالي حشد سليمان قوات كبيرة برية وبحرية وزودها بمقادير هائلة من المؤن والأقوات والسلاح لحرب طويلة الأمد وكانت القوات بقيادة أخيه مَسلَمة ووجهه إلى القسطنطينية وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه أمره.[٣]

ويورد الطبري أن مسلمة بن عبد الملك عندما توغل في آسيا الصغرى هابه الروم فاتصل به قائد أرمني اسمه ليو كان يتطلع للظفر بالعرش الإمبراطوري، فاتفق هذا القائد مع مسلمة بن عبد الملك على خطة تتيح للمسلمين فتح القسطنطينية، لكن

---

(١)الطبري، تاريخ الرسل، ج٦، ص٤٢٩.

(٢)خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢ (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص٣١٥-٣١٦؛ العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص٢١٣.

(٣)العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٣٤.

هذا القائد حين وصل إلى القسطنطينية قام بخداع المسلمين وتجريدهم من أقواتهم.(١)
لكن مسلمة تابع سيره حتى وصل إلى مشارف القسطنطينية في أواخر سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م بقيادة جيش عدته ثمانون ألف مقاتل وحاصر حاضرة الروم براً وبحرا ونصب عليها المجانيق ولكن أسوار المدينة المنيعة وقوة الدفاع البيزنطي وفعالية النار اليونانية ردت المسلمين عن اقتحام العاصمة البيزنطية، مع ذلك استمر مسلمة بحصارهللمدينة مع تشديد الضغط عليها وحفر حول معسكره حفيراً عميقاً وانتسف المزارع القريبة ومنع الأقوات من التسرب إلى داخلها.(٢)

أما الأسطول الإسلامي فقد رابطت قطعه حول المدينة، وقد بلغت قطعه ١٨٠٠سفينة كبيرة، وقد تمكن هذا الأسطول الكبير من اغلاق الممرات المؤدية إلى البحر الأسود ولكن عاصفة عاتية حطمت عدداً من السفن وسببت خللاً في مسيرته فانتهز البيزنطيون هذه الفرصة واستخدموا النار اليونانية وتمكنوا من إحراق عدد كبير منها، إلا أن المسلمين استمروا برغم ذلك يحكمون الحصار على المدينة طوال السنة إلى أن توفي سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩هـ/٧١٧م. وحل الشتاء فهلك عدد كبير من قوات الجيش الإسلامي ونفقت معظم الدواب وانعدمت الأقوات وحل الضيق والقحط في معسكر المسلمين.(٣) وظل الأمر كذلك حتى كتب الخليفة الجديد عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة بن عبد الملك قائد الجيش الإسلامي يأمره بالعودة بمن معه من المسلمين ووجه إليه الخيل والمؤونة وحث الناس على معونتهم.(٤)

---

(١)الطبري، تاريخ الرسل، ج٦، صص٥٣٠-٥٣١.

(٢)محمد عبد الله عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط٥(د.م د-مط، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ص٤٠-٤١.

(٣)الطبري، تاريخ الرسل، ج٦، ص٥٣١.

(٤)الطبري، تاريخ الرسل، ج٦، ص٥٥٣؛ عماد الدين ابي الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير(ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية(بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ج٩، ص٢٤٧٩؛ بسام العسلي، فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين(بيروت: دار الفكر، ١٩٤٧) ص٢٠٨.

عادت الجيوش الإسلامية بعد أن أدت مهمتها في تعزيز مكانة الدولة الإسلامية وإجبار أباطرة الروم على التخلي عن مشاريعهم في استعادة الأراضي التي دخلت في رقعة الدولة الإسلامية والتعامل مع المسلمين كدولة لها مكانتها وقوتها وقدرتها على تهديد أمنع معاقلهم ألا وهي عاصمتهم القسطنطينية، وبقي مشروع فتح القسطنطينية حلماً يراود المسلمين حتى تمكن العثمانيون بعد سبعة قرون من هذا الحصار فتح هذه المدينة.

الخلاصة

استعرضنا في الصفحات السابقة موضوع البحرية الإسلامية ودورها في محاولات فتح القسطنطينية خلال العصر الأموي ومن خلال تحليل النصوص الموجودة في المصادر التاريخية توصلنا للنتائج الآتية:-

- عدم وجود قوات بحرية اسلامية في عهد النبي(ﷺ) وأيضا في عهد كل من الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق ﷺ والخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطابﷺ، بل إن عمر بن الخطاب عنف من أراد ولوج البحر حتى وإن كان هدفه الجهاد، ذلك أنه أدرك بفطنته خطورة هذا الأمر مع عدم وجود الخبرة والممارسة البحرية لدى المسلمين مقابل ما تمتع به أعداءهم وخاصة الروم في هذا المجال و ما لديهم من خبرات ومعدات تجعل ميزان القوى راجحاً لأعداء المسلمين.
- كان نشوء الأسطول البحري الإسلامي في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ﷺ على يد واليه على الشام معاوية بن ابي سفيان، حيث فطن إلى أهمية الأسطول البحري في الدفاع عن السواحل المحررة في الشام ومصر، وقد سار في

هذا المشروع وفق خطة مرسومة أدت بالتالي إلى امتلاك المسلمين لقوة بحرية كبيرة ومنظمة استطاعت أن تنافس القوى البحرية الموجودة في المنطقة ودخلت معها في معارك وخرجت منتصرة نتيجةً للتخطيط الصحيح وعدم التسرع.

- ساهمت عوامل عديدة في نشوء الأسطول الإسلامي أبرزها، ازدياد الخطر البيزنطي على سواحل الشام ومصر، فضلاً عن توافر المواد الأولية والخبرة في المناطق المحررة وخاصة دار صناعة الروضة في مصر، إضافةً إلى الهدف الأكبر الذي كان يراود المسلمين وهو الاستيلاء على حاضرة الروم المنيعة القسطنطينية.
- كان أول اختبار بحري حقيقي للأسطول الإسلامي هو موقعة ذات الصواريالتي خرج منها هذا الأسطول منتصراً وأدى انتصاره إلى تدعيم سيادة المسلمين على السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط وأكد أن الأسطول الإسلامي أصبح قوة لا يستهان بها.
- جهد معاوية في وضع خطة تهدف إلى ضرب القسطنطينية والاستيلاء عليها، فكان في عهده الحصارين الأول سنة ٤٩هـ/٦٦٩م والثاني الذي استمر سبع سنوات كاملة ٥٤-٦٠هـ/٦٧٣-٦٧٩م، وقد عمل على توفير الظروف المناسبة لذلك، حيث استفاد من الإمكانات الموجودة سابقاً من بقايا الصناع البيزنطيين ومن لهم خبرة من أهل اليمن ووفر المواد اللازمة لبناء السفن والتي كانت تتوفر بكثرة في مصر والشام، اضافة إلى اتباع سياسة الاستطلاع البحري لنشاط البيزنطيين لمعرفة اسلوب العدو وطريقته، فضلاً عن عزل عاصمة الروم وذلك بالاستيلاء على الجزر القريبة من سواحل الشام والجزر المسيطرة على مداخل بحر ايجة وتقليص النفوذ البيزنطي البحري.
- أسفر الحصار الأول للقسطنطينية سنة ٤٩هـ/٦٦٩م، عن نتائج عدة أبرزها قدرة المسلمين على تهديد عاصمة الروم المنيعة القسطنطينية، وإن المسلمين لهم القدرة على معاودة هذه الهجمات وتكرار الحصار ولكن بصورة أكثر تنظيماً وفاعلية.

- أسفر الحصار الثاني للقسطنطينية والذي عُرف بحرب السنوات السبع ٥٤-٦٠هـ/ ٦٧٣-٦٧٩م عن نتيجة هامة ألا وهي انه أوضح مدى القوة والتنظيم التي وصل اليها الأسطول البحري الإسلامي والتي أهلته لمواصلة الحصار سبع سنوات كاملة، وأثبت هذا الحصار أيضاً أن الدولة الإسلامية أصبحت قوة كبيرة في المنطقة أجبرت امبراطورية الروم على الدخول معها في مفاوضات أسفرت عن توقيع معاهدة.
- بعد وفاة معاوية لم تتغير سياسة من جاء بعده من خلفاء بني أمية تجاه مشروع فتح القسطنطينية، فعندما استلم الخليفة عبد الملك بن مروان الخلافة مهد الطريق لأبنائه من بعده للاستمرار في هذا المشروع ومن أبرز ما فعله في هذا المجال هو إنهاء تهديد المردة للأسطول الإسلامي.
- بدأ التجهيز لحملة عسكرية كبيرة تهدف إلى معاودة حصار عاصمة الروم القسطنطينية في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك بقيادة أخيه مَسلمة بن عن عبد الملك، إلا أن وفاة الخليفة حالت دون إنفاذ الحملة الى وجهتها وما أن تسلم أخوه سليمان بن عبد الملك الخلافة حتى عمل على استكمال تجهيز الحملة وإرسالها للقسطنطينية، استمرت هذه القوة العسكرية تحاصر القسطنطينية ومنعت الأقوات من أن تصل إليها، إلا أن وفاة الخليفة وحلول الشتاء وهلاك عدد كبير من جند الجيش الإسلامي حال دون تحقيق هدف هذه الحملة باحتلال القسطنطينية وسرعان ما عاد الجيش الإسلامي بعد أن أدى مهمته في تعزيز مكانة الدولة الإسلامية وإجبار أباطرة الروم على التخلي عن مشاريعهم في استعادة الأراضي التي دخلت تحت الحكم الإسلامي.
- ساهمت حملات المسلمين المتكررة لحصار القسطنطينية إضافةً إلى وضع عاصمة الروم تحت التهديد المستمر، أثبتت أن المسلمين أصبحت لهم قوة بحرية متميزة تتحرك وفق خطط محكمة وأصبح لديهم التجربة والممارسة في هذا المجال، كما أوضحت هذه الحملات المتكررة أن مسألة فتح القسطنطينية كانت مشروعاً

ثابتاً في سياسة الفتح الإسلامي، وقد بقي هذا الحلم يراود المسلمين حتى فتحت القسطنطينية على يد العثمانيين بعد سبعة قرون من الحصار الثالث لهذه المدينة.

المصادر والمراجع

المصادر:

- ابن الأثير، عز الدين بن ابي الكرم عبد الواحد(ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).
* الكامل في التاريخ (بيروت: دار ومكتبة الهلال/ ٢٠٠٨).
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر.
* فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع- عمر أنيس الطباع (بيروت: مؤسسة المعارف، بلا- ت).
- ابن عبد الحكم، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله.
* فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد صبيح (د.م، بلا مط، بلا- ت).
- ابن خياط، خليفة(ت٢٤٠هـ/٨٥٤م).
* تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢(الرياض، دار طيبة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد.
* المقدمة(بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٠).
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢م).
* تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٤(القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧).
- ابن كثير، ابو الفدا اسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
* البداية والنهاية(بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

- القلقشندي، أحمد بن عبد الله.
* مآثر الانافة في معالم الخلافة، ط٢(الكويت: د.مط، ١٩٨٥).
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م).
* المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار(القاهرة: دار التحرير للطباعة والنشر، ١٢٧٠هـ).

المراجع:

- انور عبد العليم.
* الملاحة وعلوم البحار عند العرب(الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- الحموي، محمد ياسين.
* تاريخ الأسطول العربي(دمشق: د.مط/ ١٩٤٥).
- الدقدوقي، وفيق.
* الجندية في عهد الدولة الأموية(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)
- ابو زيد، علا عبد العزيز.
* الدولة الأموية..دولة الفتوحات ٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م(القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).
- السيد عبد العزيز سالم.
* تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس(بيروت: دار النهضة العربية، بلا- ت).
- الصلابي، علي محمد محمد.
* معاوية بن ابي سفيان شخصيته وعصره(القاهرة: دار الأندلس الجديدة، ٢٠٠٨).
- العبادي وسالم، أحمد مختار وعبد العزيز.
* تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام(بيروت: دار الأحد، ١٩٧٢).
- العدوي، ابراهيم أحمد.
* الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط(القاهرة: مكتبة نهضة مصر، بلا- ت).

* الأمويون والبيزنطيون(القاهرة: د. مط، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م).
* الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم، ط٢(القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨).
- العسلي، بسام.
* فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين(بيروت: دار الفكر، ١٩٤٧).
- لويس ارشيبالد.
* القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيسى (القاهرة: د. مط، ١٩٦٠).
- وفيق بركات.
* فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي(حلب: معهد التراث العلمي العربي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).